مجلة دراسات إنسانية واجتماعية / جامعة وهران02/ المجلد 13 ع 01، 16 /01 / 2024
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

الجنس الأخروي في المخيال الإسلامي

Exchatological Sex in the Islamic Imagination

هدي عينونة Haddi Ainouna yabkaamir31@gmail.com	فلسفة	جامعة وهران2، الجزائر

DOI : 10.46315/1714-013-001-009

الإرسال: 2023/06/30 القبول: 2023/10/22 النشر: 2024/01/16

**

Abstract:

The subject of Exchatological sex is based on a critical and analytical reading to the book of Ibn Qayim Al Jawziyah – Haadi El Arwah Ila Bilad El afrah- this one represent an exceptional model of the erotic study in the islamic imagination, which is based on containing the biological dimension of the sex and transcending it at the same time by intergrating the metaphysical dimensions of the body in the other world ,thus producing a kind of sexual fantasy or what can be also called the para sexual.

Keywords : Sex ; Exchatology ; Heaven; Body; Pleasure.

ملخص باللغة العربية:

يتأسس تصورنا لموضوع الجنس الأخروي على قراءة نقدية تحليلية لكتاب ابن قيم الجوزية – حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح –والذي يمثل نموذجا استثنائيا للدرس الإيروتيكي في المخيال الإسلامي؛ حيث يقوم بالأساس على احتواء البعد البيولوجي لموضوع الجنس. وتجاوزه في الوقت ذاته من خلال ادماج الأبعاد الميتافيزيقية للجسد في العالم الآخر. منتجا بذلك نوعا من الفانتازيا الجنسية أو ما يمكن تسميته أيضا الباراجنسي.

كلمات مفتاحية: الجنس؛ علم الآخرة ؛ الجنة؛ الجسد؛ اللذة.

**

1 - مقدمة :

يجري التداول العربي لمفهوم الجنس كترجمة لكلمةSex، والتي تدل في معناها العام على مجموع الخصائص البيولوجية، التي تقسم الكائنات الحية إلى إناث وذكور، انطلاقا من الجانب التشريحي وبالنظر إلى التركيب الداخلي للأعضاء التناسلية، وما تقوم به من وظائف فيزيولوجية وما ترتبط به من عمليات حيوية. أما في الثقافة العامية ولغتها المتداولة فغالبًا ما يشير لفظ الجنس إلى الجماع Having Sex، وإلى جانب مفهوم الجنس كغريزة بيولوجية، يظهر مفهوم آخر وهو الجنسانية Sexuality كنمط جديد للسكسولوجيا (علم الجنس) التي تحتوي البعد البيولوجي وتتجاوزه في الوقت ذاته، من خلال إدماج الأبعاد الإنسانية والاجتماعية في البناء المعرفي لموضوع الجنس كالعلاقات، والهويات، والسلوكيات، والقيم، والمؤسسات، والأمراض، والإحساسات

و..... (الديلمي، ع، 2009، 14) وهو ما يتحول به الجنس من ظاهرة فردية خاصة إلى ظاهرة جماعية(شمولية). والجنسانية مصطلح حديث، تطور خاصة مع أبحاث مدرسة التحليل النفسي التي وظفت مفهوم الإيروسEROSإله الحب في الإيتمولوجيا اليونانية، وتوسعوا في استعماله فأطلقوه على كل رغبة أو ميل، يحمل صاحبه إلى طلب اللذات الحسية وخاصة اللذات الجنسية، التي يسمون طاقتها المحركة بالليبيدو حيث يتم تفسير الحياة النفسية بناءً عليها. ثم أخذ مصطلح الجنسانية يوظف بمناهج مختلفة، وفي حقول معرفية متنوعة من مثل الفلسفة وعلم الاجتماع، والأنتربولوجيا، هذا بالإضافة إلى تمظهراته الأدبية والفنية والدينية ...الخ. وقد شهد هذا النوع من الكتابة عن موضوع الجنس، حضورا لافتا منذ القدم، خاصة في الكتابات الغربية والتي تخلت عن أخلاقيات الحشمة والحياء والتقية، واندفعت إلى مساءلة جميع المواضيع المسكوت عنها، متراوحة في ذلك بين العمق والسطحية، بين الجرأة والوقاحة والابتذال الذي قد يصل إلى درجة البورنوغرافيا Pornography بمعناها الإباحي السلبي.

وبالموازاة مع هذا الاتساع في نصوص الجنسانية الغربية؛ يُجمع النقاد والدارسين على أن العرب والمسلمين، قد اهتموا أيضا بموضوع الجنس، وتناولوه من النواحي كافة وما يثبت ذلك، هو الثراء الكمي والكيفي في المدونة الإيروتيكية العربية، والتي احتوت على نصوص مختلفة ومتنوعة في مضامينها وتوجهاتها، وهي تدخل في إطار ما يمكن تسميته ب : أركيولوجيا الجنس في الإسلام (محمود، إ، 1998، 22)حيث أصبح موضوع الجنس، علما قائما بذاته عند الفقهاء في باب النكاح أو علم الباه، ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر؛ كتب جلال الدين السيوطي ومنها الإفصاح في أسماء النكاح، الزنجبيل القاطع في وطء ذات البراقع، مقامة النساء، نزهة العمر في التفصيل بين البيض والسود والسمر، ضوء الصباح في لغات النكاح، كما استأثر الجنس باهتمام الأدباء نثرا وشعرا مثل حكايات ألف ليلة وليلة، النصوص المحرمة لأبي نواس، مفاخرة الجواري والغلمان وكتاب القيان للجاحظ...الخ)، بالإضافة إلى بعض الكتابات الصوفية، التي وظفت الرمزية الإيروسية للتعبير عن مواجيدها العرفانية مثل كتاب ترجمان الأشواق لمحي الدين ابن عربي ...الخ، ناهيك عن تلك الأبحاث العامة ذات الطابع التعليمي، والتي كانت تقدم وصفات تعطى كمقويات للجنس، ومعمقات للملذات والمتع، بغية إيجاد فياغرا سحرية للاعتناء بالجسد لا في بعده الروحي فقط، ولكن في أبعاده الجنسية أيضا مثل كتاب نزهة الأصحاب في معاشرة الأحباب لسمؤل بن يحي المغربي، وكتاب نزهة الألباب في ما لا يوجد في كتاب لأحمد بن يوسف التيفاشي، وكتاب رجوع الشيخ إلى صباه في القدرة على الباه لأحمد بن سلمان المشهور بابن كمال باشا التركي، وكتاب الروض العاطر في نزهة الخاطر للنفزاوي، وكتاب تحفة العروس ومتعة النفوس لمحمد بن أحمد التيجاني .....الخ فالجنس قد سجل حضوره في الثقافة الإسلامية، بوصفه موضوعا لغويا وشرعيا

وأدبيا وعلميا، ولكنه لا يزال مغيباً إلى حد ما في مباحث العلوم الاجتماعية والإنسانية، أو هو في أقل الحالات يعيش لحظة التكوين فقط مثل الكتابات النسوية عند فاطمة المرنيسي ونوال السعداوي بالإضافة إلى بعض الكتابات الرجالية من مثل كتابات ملك شبل وعبد الوهاب بوحديبة .....الخ. ومثل هذه الخطابات الإيروتيكية على تنوعها وثراءها، تشكل مادة خصبة ومثيرة لقراءة عصورها التاريخية والاجتماعية لهذا ينبغي فتح المجال واسعا لقراءة نصوصها جهرا، والتي لطالما جرى تقييمها سلبيا، كما اعتبرت نوعا من الالتفاف على المحظور الذي يُفضل الاحتفاظ به في دائرة المسكوت عنه، والذاتي والحميمي والسري خاصة في الحقل التداولي العام. وسعيا منا وراء إعادة مساءلة الدرس الإيروتيكي في المخيال الإسلامي، قمنا بتسليط الضوء على توجه خاص في الكتابة عن الجنس في المدونة التراثية الإسلامية-كتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية - والتي لم تكتف بتنظيم وتقنين حركية الجسد وجدليته في إطار الديني والدنيوي فقط، بل وسعت دائرته ليشمل الأخروي كذلك، منتجة بذلك نوعا من الفانتازيا الجنسية، التي تعبر عن أدبيات المعاش والممكن معايشته على الصعيد الميتافيزيقي للجسد، أو ما يمكن أن نصطلح عليه الباراجنسي.فما هي الإستراتجية الخطابية في تناول موضوع الجنس الأخروي في المخيال الإسلامي ؟وما هي أهدافها وغاياتها التعليمية؟

2 - الجنس الأخروي :الغاية والوسيلة

أ - الهدف المتعوي للجنس في الجنة :

يندرج الحديث عن العالم الآخر ضمن ما يسمى حديثا بعلم الآخرةExchatology، وهو اصطلاح لاهوتي بالأساس، موضوعه البحث في المسائل المتعلقة بنهاية العالم، ومصير الإنسان من موت وبعث وحساب وجنة ونار وهو مرادف لعلم الميعاد (صليبا، ج، 1982، 27) . ويشكل هذا المبحث في الثقافة الإسلامية سواء أكانت عامية أو عالمة، أحد الثوابت الأساسية التي تم الإجماع على يقينية وجودها كركن من أركان الدين الإسلامي، حيث تزخر المدونة التراثية الإسلامية بطبوغرافيا دقيقة للحياة الآخرة ثوابا وعقابا، انطلاقا مما أورده النص الديني قرآنا وسنة وما مورس عليهما من أفعال القراءة والتأويل نذكر على سبيل المثال كتاب دقائق الأخبار في ذكر الجنة والنار للإمام عبد الرحمن بن أحمد القاضي، وكتاب الدرر الحسان في البعث ونعيم الجنان لجلال الدين السيوطي، وكتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبي، وكتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية.....الخ.

وإذا ما أردنا اتخاذ عتبة مفاهمية لمعالجة المسألة الجنسية في العالم الأخروي، فإنه ينبغي أن ننطلق من مفهوم اللذة الذي ارتبط به تصور الجنة في المخيال الإسلامي، مصداقا لقوله عز

وجّل:﴿و فيها ماتشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون﴾(سورة الزخرف، الآية، 71) فسلطة الجنة تقام على أرضية تُصّعد فيها الرغبات إلى أقصى الحدود، على أساس أنها دار الجزاء والثواب ولا تكليف فيها على الإطلاق، لتتنوع بذلك جغرافيا الملذات الجنتية، بحسب كل ما من شأنه تعميق المشتهي وتأصيله في النفس الإنسانية. وتعتبر اللذات الجنسية أحد أعظم اللذات الأخروية، التي لم يتحرج الإسلام في ذكرها كثواب لعباد الله الصالحين، وذلك بخلاف الديانات السماوية الأخرى وخاصة المسيحية، التي جعلت مفهوم الثواب الأخروي روحيا لا حسيا فحين سُئل المسيح عيسى من طرف الصادقيين وهم طائفة يهودية في زمانه قالوا :"يا معلم إن موسى قال إن امرأ مات، وليس له ولد فليتزوج أخوه امرأته، لتقيم لأخيه ذرية، وقد كان عندنا سبعة أخوة، تزوج أولهم ولم يكن له ذرية فترك زوجته لأخيه، وكذا الثاني والثالث إلى السابع، وآخر الكل ماتت المرأة أيضا ففي يوم القيامة زوجة من تكون من السبعة إنهم كلهم حازوها؟ فأجاب يسوع قائلا: لقد ضللتم إذ لم تعرفوا الكتاب ولا قدرة الله، لأنهم في يوم القيامة لا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء" (بوحديبة، ع، 2001، 126). وإذا كان المسيحي في الفردوس غير جنسي، فإن المسلم في المقابل ينعم باللذة المطلقة لأن الثواب الأخروي هو بالأصل للأجساد والأرواح معا، يقول ابن قيم الجوزية في هذا الصدد:" من ترك اللذة المحرمة لله استوفاها يوم القيامة أكمل ما تكون"(الجوزية، إ 2005، 303)، إن مثل هذا القول يضعنا في بوابة عالم الجنس في الجنة، والذي تم تصوره من قبل معظم الفقهاء على أنه ذو طابع حسي صرف، وإن كان يختلف عن مقابله الدنيوي في العديد من المستويات، وهو ما أنتج تحويرا في مفهوم اللذة الجنسية فنكاح أهل الجنة، لا يختلف في معناه العام عن مدلول لفظ النكاح، بمعنى الوطء الجنسي الذي يحدث بين المرأة والرجل بعقد شرعي، وإذا كان الغرض من النكاح الدنيوي داخل مؤسسة الزواج، هو تأمين استقرار الجسم الاجتماعي والمحافظة عليه قانونيا وشرعيا بإعادة إنتاجه عبر الإنجاب والتوالد من أجل إعمار الأرض؛ فإن النكاح الأخروي على ما بينه ابن قيم الجوزية (2005، 311)ينسلخ عن وظيفته التناسلية بحكم أن الجنة دار خلود وبقاء دائم، فهي حياة بلا موت وهو ما يغني عن حفظ النوع الإنساني بالتوالد ويتأسس في المقابل، من أجل هدف واحد هو المتعة فقط وتحقيق تكاثرها وتجديدها إنتاجا واستهلاكا، وهذا ما يخلق شعورا دائما بالرغبة واللذة المطلقة والتي يختصرها وصف ابن قيم الجوزية: "الذكر فيها- في الجنة- لا يمل والفرج لا يحفى والشهوة لا تنقطع "(الجوزية، إ، 2005، 301).

وتكريسا لهذا الهدف المتعوي للجنس، تستثمر المخيلة الإسلامية مفهوم الطهر، انطلاقا من قوله عز وجّل: ﴿و الذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا﴾ (سورة النساء، الآية، 57)، وقد فُسر هذا

التطهير بمعناه الحسي الفيزيولوجي، عن كل ما اعترى الجسد الدنيوي من إفرازات عضوية يمكن أن توصف مجازا بأنها مدنسة، يقول ابن قيم الجوزية : "الأجساد في الجنة مطهرة عن كل قذر أو أذى كالمني ودم الحيض ودم النفاس بل وحتى البول والغائط والنخام والمخاط والبصاق....الخ" (الجوزية، إ، 2005، 272) .

وإن كان مفهوم الطهر يكشف عن رغبة في تعظيم القداسة في الآخرة، إلا أنه يوظف أيضا كإستراتيجية لإدارة الشهوة الجنسية وكضامن لكل ما يمكن أن يحول دون اللذة المطلقة فطهر المرأة مثلا عن دم الحيض وعن دم النفاس، وإن كان نتيجة لعدم خضوعها للحمل والولادة؛ إلا أن ذلك الطهر يوفر لها ميزة الإمتاع الدائم لزوجها، وهو ما كان سيختلف حتما لو كانت عرضة لتلك العطل البيولوجية، امتثالا لقوله عزوجّل: ﴿و يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ (سورة البقرة، الآية 222) . كما أن طهر الرجل عن الإفرازات المنوية، لا يفسره فقط انعدام الوظيفة التناسلية (التوالد) بين الزوجين في الجنة، ولكنه يطرح على مستواه العام أيضا معنى الفحولة والشبق الذكوري فلا ضعف ولا انحلال قوة ولا قذف ولا إنزال مني، ذلك أن الإنزال يعني تحديدا لطاقة وانتهاء مؤقت لصيرورتها، وهو ما لا يتلاءم مع الشعور الديمومي باللذة عند الرجل الجنتي، تلك الطاقة الجنسية التي وصفها الباحث محمود ابراهيم(1998، 361)بأنها لا تنفذ بل تحتفظ بعنفوانيتها باستمرار.

ب – مفهوم المرأة الجنتية :الثابت والمتغير في الجنسانية الأخروية

كما يُستثمر مفهوم إيروسي آخر كإحداثية جوهرية في معادلة المتعة الأخروية، أين تبرز الحور العين كنساء أنشأنهن الله إنشاءً لأزواجهن حيث خلقن أساسا في الجنة كجزء من نعيمها على ما ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الدخان الآية54، وسورة الرحمن الآية 56، 72، وسورة الواقعة الآيات 22، 36، 37، إذ تظهر الحوراء كفاكهة اللذة الأولى في جنة الرحمن فهي بجمالها الفائق، والذي يقترب كثيرا من ملامح الجمال العربي، إذ يرتبط الحَوَر في أحد معانيه اللغوية بتناغم جمالية لوني البياض والسواد، كأن يشتد بياض العين وسواد سوادها، وتستدير حدقتها وترق جفونها، ويبيض ما حولها أو شدة بياضها وسوادها في بياض الجسد (الفيروزابادي، م، 2007، 332)، لتتجلى المرأة ببياض جسمها الساطع وسواد عيونها ورموشها وشعرها، وهو ما يفصح عن جمالية مثيرة، يصفها ابن قيم الجوزية مستشهدا بحديث عن ابن عباس يقول:"لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لأفتتن الخلائق بحسنها ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض"(الجوزية، ا، 2005، 298).كما تُضاف إلى هذه الجمالية مفاهيم أخرى ذات طابع

إغرائي، من مثل الشباب الدائم، والبكارة المتجددة، والدلع والحب الكبير للأزواج، وما يرتبط به من طاعة وشوق ولهفة وعشق، ويورد ابن قيم الجوزية حديثا رواه الأوزاعي عن يحي بن كثير يصف فيه روعة المشهد المتخيل للقاء الرجل بأنثاه الجنتية يقول فيه :"إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن طال ما انتظرناكم فنحن الراضيات فلا نسخط، والمقيمات فلا نضغن، والخالدات فلا نموت بأحسن أصوات سمعت، وتقول أنت حبي وأنا حبك، ليس دونك تقصير ولا وراءك معدل"(الجوزية، ا 2005، 298).لتظهر المرأة الجنتية كأيقونة للجمال الأنثوي الإغرائي، وكرمز للكمال الأخلاقي بحسن تبعلها ومعاشرتها الزوجية الطيبة، ممثلة بذلك أنموذجا لما ينبغي أن تكون عليه المرأة الأرضية، وما يعتري هذه الأخيرة من نقائص خُلقية وخَلقّية بفعل عوامل الزمان والمكان الدنيويين، سرعان ما تتجاوزها بمجرد دخول الجنة، إذ ورد في الأثر النبوي أن النساء الآدميات اللواتي يدخلن الجنة، يصبحن أفضل مقاما من الحور العين لعبادتهن الله عز وجل في دار التكليف (الدنيا) حيث يروي الترميذي حديثا عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة مجتمعا من الحور العين، يرفعن أصواتهن لم تسمع الخلائق بمثله فيقلن نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نيأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له، وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها إن الحور العين إذا قلن هذه المقالة، أجابتهن المؤمنات من نساء الدنيا نحن المصليات وما صليتن، ونحن الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضئات وما توضأتن، ونحن المتصدقات وما تصدقتن تقول عائشة فغلبنهن"(الباز، م، دس، 311).

وسواءٌ كانت أفضلية النساء الآدميات في الجنة، من باب الحقيقة أو من باب الترضية فقط والجبر بقلوبهن، فإنها تطرح على مستواها الإضافي مسائل أخرى أكثر عمقا وإشكالا، تعبر في جوهرها عن جدلية الثابت والمتغير في الجنس الأخروي، ذلك أن التنوع الكمي والكيفي للنساء الجنتيات، هو تعبير عن مركزية الذكورة كثابت يحصل التنافس عليه من طرف البدائل الأنثوية المتغيرة، وهو ما تتحول به الجنة إلى فضاء لتسويق رغبات الجسد الذكورية فالمرأة الجنتية تحضر في بعدها الأداتي لإمتاع الرجل، والذي يكون هو وحده موضوع ذلك الحب الفردوسي، وهذا ما يثبته الوصف الحسي الجريئ الذي قدمه ابن قيم الجوزية، لما يمكن أن نسميه مجازا ب :"ليلة الدخلة الأخروية" استدل فيه بحديث رواه أبي هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيه: "والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم، فيدخل رجل منهم على اثنين وسبعين زوجة مما ينشئ الله، واثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله عز وجل في الدنيا، يدخل على الأولى منها في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ فبينما هو عندها لا يَملها ولا تمُله، ولا يأتيها من مرة إلا وجدها

عذراء، ما يفتر ذكره ولا يشتكي قلبها، فبينما هو كذلك إذ نودي أنا قد عرفنا أنك لا تَمّل ولا تُمل، إلا أنه لا مني ولا منية إلا أن تكون له أزواج غيرها فتخرج فيأتهن واحدة واحدة، كلما جاءت واحدة قالت والله ما في الجنة شيء أحسن منك وما في الجنة شيء أحب إلي منك"(الجوزية، ا، 2005، 288).

وإذا كانت جنسانية الجنة قد غدت من خلال هذا الوصف في حيز الموجه ذكوريا، فهي بالإضافة إلى ذلك تطرح إشكالات أخرى، تعبر في مجملها عن لحظات التماس الممكن حدوثها بين مؤسستي الزواج الأرضية والجنتية كإطار شرعي تجري فيه، فعلى المستوى التشريعي، نجد إقرارا واضحا وصريحا بمسألة تعدد الزوجات Polygamy، والتي لطالما كانت محل نزاع فقهي في الشأن الدنيوي نظرا لتعقيداتها الاجتماعية والنفسية، أما في بعدها الأخروي فهي لا تطرح أي صراع بين أطرافها، سواءٌ على المستوى الهرمي بين الرجل وزوجاته، أو على المستوى القاعدي بين الزوجات، على اعتبار أن أهل الجنة منزهون عن كل الضغائن والأحقاد، وهو ما يجعلهم في حالة حب وسكينة دائمة فللرجل في الجنة حسب ما ورد في الحديث النبوي السابق ؛زوجتان من النساء الآدميات، وما يقرب الاثنين وسبعين زوجة من الحور العين، كما أن هذا العدد مرشح للارتفاع لأن اللذة في الجنة مطلقة، ولكل مؤمن نصيب منها بحسب ثوابه ومقامه عند ربه .وزيادة على ما يحوز الرجل من زوجات، يظهر مفهوم المرأة /الجارية كعنصر تكميلي داخل منظومة الجنس في الجنة، وقد أورد ابن قيم الجوزية حديثا عن ابن عباس عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة نهرا يقال له البيدخ، عليه قباب من ياقوت تحته حور ناشئات فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا إلى البيدخ، فيتصفحون تلك الجواري فإذا اعجب رجل منهم بجارية مس معصمها فتتبعه "(الجوزية، ا، 2005، 295).ومثل هذه المبالغات التي وقعت فيها المخيلة الإسلامية، أثناء وصفها لذلك الزخم النسائي في الجنة، ما هي في حقيقتها إلا ترسيخ لأنظمة قيمية شكلت جزءا من بنيتها التاريخية والاجتماعية، من مثل الزواج المتعدد، نظام التسري بالجواري والقيان والمحظيات وغيرها من الأنظمة، التي عبرت في مجملها عن قناعات ذكورية سلطوية، جعلت الجنس في بعديه الدنيوي والأخروي ملحقا في مدار الرجل بالمطلق، ليس على مستوى الواقع فقط بل على مستوى النص كذلك، أي تأميم لغة الخطاب الجنسي، والذي كتب في أغلبه من طرف رجال فرضوا فيه منطقهم الخاص والذي هو منطق أبوي بامتياز.

3- النتائج والتوصيات: نحو محاولة لترشيد خطاب الجنس الأخروي

من خلال ما سبق ذكره، تظهر جنسانية الجنة في المخيال الإسلامي ذات طابع مشع بالشبقي، وبالاتحاد الشهواني، بالمتعة والبهجة والجرأة، في مشهد يفترض أنه يحتاج إلى حياء كبير أين

سيكون العباد في مملكة الرب المقدسة، وهنا نتساءل لماذا سار معظم الفقهاء في هذا المنحنى التهويلي للمتع الأخروية لدرجة بدت معها كل المتع الدنيوية معطّلة؟ أو في أقل الحالات مدنسة؟ وإذ اكان صحيحا أن تكثيف الوصف الجنتي يدخل في باب الترغيب، وتصعيد نزعات الاشتياق إلى نعيم العالم الأخروي فإنه ينبغي في المقابل ترشيد مقاربتنا لذلك العالم المغيوب، الذي يتجاوز حدود الوعي الإنساني الضيق، كما ينبغي أن لا نخوض فيه بما يسوغه لنا خيالنا الشهواني الجائع، وأن نؤمن في المقابل برفعة النموذج الجمالي الإلهي الموعود، وأن ننزهه عن الإسقاطات الحسية المباشرة لمعطياتنا الدنيوية وذلك مصداقا لقوله عّز وجّل:﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾(سورة السجدة، الآية 17). فالتهويل الكبير في خطاب الجنس الأخروي لم يأت به القرآن الكريم، وإنما جاءت به القراءات التي كانت تخضع لها النصوص الدينية الإسلامية، بما في ذلك الأحاديث النبوية التي ينبغي أن تُحَكم إلى العقل الذي يبحث خلف صحتها من ناحية المتن والسند. وإن كنا كمسلمين نقر بحسية اللذة والمتعة الجنتية، فإن هذا لا يلغي التحول بمقصديتها نحو مسار تنمية ما هو قيمي في الإنسان، حتى تعلو اللذة عن طابعها الحيواني الغريزي، وعلى هذا الأساس تصبح مفاهيم من مثل الجنس والنكاح والحور العين لا تقتصر فقط على معناها الحسي، بل يمكن أن تتعداه إلى معاني أخرى رمزية متجاوزة لأسطورة اللذة والشبق، فالتزويج لا يعني فقط التمكين من نكاح نساء الجنة الجميلات، والاستمتاع بأجسادهن لإشباع نهم ذكوري لا ينفذ، وإنما يمكن أن يفهم منه أيضا معنى التناسب والتماثل بين اثنين يجعل من الواحد نظيرا للآخر، إذ من المعاني اللغوية لكلمة زوج أن يدل على مقارنة شيء لشيء وكل ما كان له قرين من جنسه يعني نظيره ومثيله سواء في الشكل أو الوظيفة (مختار، ع، 2008، 1007) وبناء على هذا المعنى، يصبح اقتران الرجل بزوجه هو اقتران بين الذكورة والأنوثة؛ لا من أجل إبراز محورية طرف على حساب هامشية الآخر، بل من أجل تكسير الحدود الاعتبارية بينهما لصالح وحدة النوع الإنساني، وهو ما يخلق تماهيا وتوحدا يدرك فيه كل زوج الآخر بقدر إدراكه لذاته، فالبحث عن الحب على حد تعبير نوال السعداوي(1980، 141)إنما هو بحث لمعرفة الذات، والرغبة في الحب هي الرغبة في أن يُعترف بنا لا من أجل ما نفعل ولكن من أجل ما نكون . بهذا المعنى ينتقل النكاح من عتبة اللذة الجنسية إلى تحصيل لذة أخرى هي لذة المعرفة بالآخر، هذه المعرفة التي يفنى معها جهل الأزواج لبعضها، تجعل الإنسان الحق الجدير بالنعمة لا يدرك من ذاته جانبها الأناني المطلق الشهوة فقط، بل يتعداه إلى تعزيز إنسانيته عن طريق إعادة اكتشاف معنى الحوار مع الشريك، وهو ما يمكن أن تتحقق به المودّة، السكينة والحب كأهداف سامية، لطالما انحرفت مؤسسة الزواج الأرضية عنها، والتي فقّد فيها الفعل الجنسي الكثير من معانيه الرفيعة، حيث استبدلت بصفات الترفيه والفردية والأنانية، ولعل هذا هو معنى الطهر الحقيقي

للأزواج في الجنة فالدنس ليس مجرد دنس عضوي فيزيولوجي، بقدر ما يصبح الدنس عبارة عن اعوجاج وانحراف قيمي وأخلاقي ومعرفي، لطالما عاشه الإنسان في العالم الدنيوي، لذلك يصبح تجاوزه في العالم الأخروي أمرا ضروريا تفرضه قداسة المكان والزمان.

4- خاتمة عامة:

إن مشروعية مثل هذا التأويل لرمزية الجنس في الجنة، وإعادة اكتشاف المعاني الثاوية تحت المعنى الحسي للمفهوم، تندرج ضمن مطلب أعم، هو ضرورة إعادة القراءة النقدية الشاملة لأدبيات الجنة، التي تحفل بها المدونة التراثية الإسلامية، والتي بالغت في تصعيد لغة خطابها، لدرجة أصبحت فيه أقرب شبها بما تحكيه الأسطورة والميثولوجيات القديمة، من أجل أهداف وغايات لا تنفصل في حقيقتها، عن البنية الثقافية والاجتماعية التي أنتجتها وهو ما يجعل نقد إبستيمياتها أمرا ضروريا، خاصة وأن خطاباتها، تعتبر أحد أهم المعاقل التي تقوم بتوجيه الذاكرة الفردية والجماعية، كما تعمل على تشغيل مختلف طبقاتها الشعورية واللاشعورية واستثارة مخيلتها في مستوياتها الأعلى، وهو ما تستغله بعض التوجهات الدينية المتطرفة - خاصة في ظل التناقضات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية – لقلب معادلة الدنيوي والأخروي؛لا من أجل إثبات الاستمرارية بينهما، وتعزيز مهمة الإنسان كفاعل تاريخي وحضاري، يجسد رسالة السماء في عالم الدنيا ويستمر بها في عالم الآخرة امتثالا لقوله عّز وجّل: ﴿وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾ (سورة القصص، الآية 77) ؛بل بزرع بذور اليأس في الإنسان، وتصعيد شعوره بالاغتراب عن هذه الحياة الدنيا، وتشجيع انسحابه منها لصالح تفاصيل حياة أخرى، لهذا بتنا نسمع عن ثقافة الأحزمة الناسفة والعمليات الانتحارية، التي ترخص فيها الحياة عند منفذيها لصالح حوريات الجنة وأكلها وخمرها ولباسها وقصورها .....الخ وهو ما يطرح خطورة الدور الوظيفي في تمثل معنى الحياة، والموت والسعادة واللذة في تلك المدونات التراثية، وفي عمليات تفسير وتأويل النص الديني التي تخضع لها.

**

5-قائمة المصادروالمراجع:

- القرآن الكريم
- الباز محمد، د(س)، حدائق الجنس، د(ط)، القاهرة، دار كنوز للنشر والتوزيع.
- الجوزية ابن القيم، (2005 م)، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ط1، مصر، مكتبة عبد الرحمن، مكتبة العلوم والحكم للنشر والتوزيع.
- الديلمي عبد الصمد، (2009م)، سوسيولوجيا الجنسانية العربية، ط1، بيروت لبنان، دار الطليعة .
- السعداوي نوال، (1980م)، المرأة والجنس، ط4، بيروت لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الفيروزابادي مجد الدين محمد بن يعقوب، (2007 م)، القاموس المحيط، ط2، بيروت لبنان، دار المعرفة .
- بوحديبة عبد الوهاب، (2001م)، الإسلام والجنس، ط2، بيروت لبنان، رياض الريس للكتب والنشر.
- محمود ابراهيم (1998م)، الجنس في القرآن، ط1، بيروت لبنان، رياض الريس للكتب والنشر.
- محمودابراهيم، (1998م)، جغرافيا الملذات الجنس في الجنة، ط1، بيروت لبنان، رياض الريس للكتب والنشر.
- مختار أحمد عمر، (2008م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، القاهرة مصر، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع.
- صليبا جميل، (1982م)، المعجم الفلسفي، ج1، د(ط)، بيروت لبنان، دار الكتاب اللبناني.